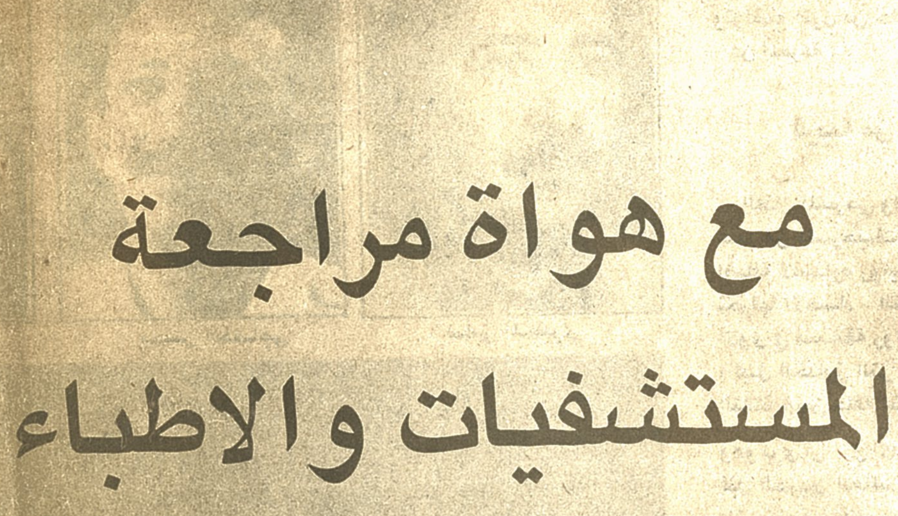
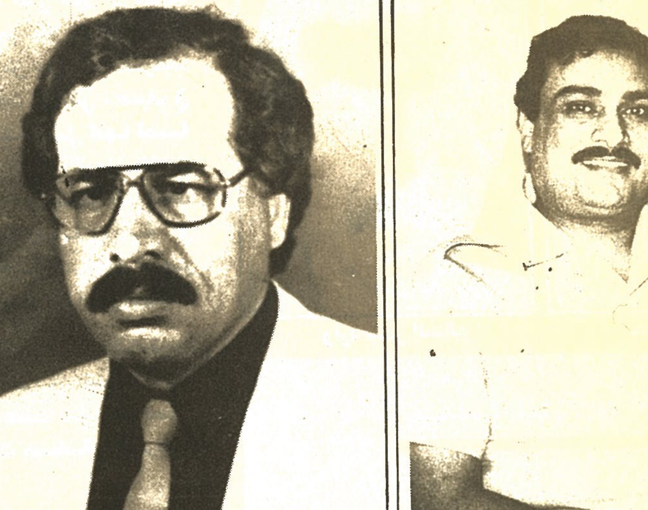


مع هواة مراجعة المستشفيات والاطباء


د . عبدالجبار عبدالعباس — د . كريم المفرجي

القلق والوهم دافع اساسي لاجراء الفحوصات ■ ماهو المطلوب لايقاف هذه الظاهرة ؟

كنا ذات مرة نزور احدى المستشفيات لنلتقي بمجموعة من الاطباء حول موضوع صحي . دخلنا غرفة احد الاطباء . انا والزميل المصور . فيما بدأ المراجعون للتو في الدخول الى الغرفة لاجراء المعاينات الطبية المطلوبة .

بعد قيامه بفحص اثنين او ثلاثة . توقف الطبيب عند احدى المراجعات ، تمعن فيها قليلا ، ثم سألها : الم نقم بفحصك قبل ايام ؟

ترددت المرأة وأجابت : نعم . عاود الطبيب سؤالها : هل عاودك المرض ؟ انتظرنا اجابتها بعض الوقت حتى سمعناها تقول : يادكتور ان الادوية التي اخذتها ليست كافية ، ولهذا لم استعملها الاقليلا وتركتها !

نقلنا بصرنا الى الطبيب ، نترقب رده . ولكنه بدوره . التفت الينا ، وعيناه تقولان هل سمعتم ؟ رجع الى المريضة ثانية وسألها : وكيف عرفت ان الادوية لم تكن كافية ؟

اجابة المريضة في ذلك اليوم . وملاحظات الطبيب التي قالها لنا لاحقا سجلنا منها تخطيطا لموضوع جديد خرجنا به . هو هذا التحقيق الذي يشكل بمجموعه طرحا واجابة على سؤال : لماذا يكثر بعض المواطنين من مراجعة المستشفيات دون سبب فعلي . أو قناعة حقيقية ؟

كان هذا السؤال وغيره ، واجاباتها المتباينة . تشكل سداة ولحمة القضية التي نريد مناقشتها اليوم . ولهذا لم نقصر حوارنا على جهة واحدة ، فحاورنا الطبيب . والمريض . وعالم الاجتماع ، طموحا في الوصول الى ان نسهم في معالجة ظاهرة سلبية لابد لها ان تتوقف عن الاستمرار .

ومعا نتابع رحلة البحث

■ نعمل لمعالجة هذه الظاهرة ■

قال لنا الدكتور عبدالجبار عباس رئيس هيئة الخدمات الطبية مبينا رأيه في هذه النماذج من المرضى

- ان ما نقدمه للمريض جزء من عملنا . وعلينا دائما ان نضاعف الجهود لتقديم الافضل وظاهرة من يمكن تسميتهم هواة مراجعة المستشفيات . موجودة ومشخصة ولكنها تتضاءل من خلال تزايد الوعي والتوجيه المستمر والاجراءات المناسبة التي تتخذ ولكن بعض الحالات لايمكن السيطرة عليها . خاصة عند المتمارضين الذين يقوم الاطباء بأجراء اللازم لهم من التصوير بالاشعة والقيام بالتحاليل وقياس الضغط وغيرها .

وهناك من لايستوجب مرضه اكثر من مراجعة واحدة لانه عارض يزول سريعا لكن التوهم يدفعه للمعاودة . مع ما في ذلك من اجهاد للطبيب والعاملين في الاقسام المختلفة . وحرمان المرضى الحقيقيين من فرص الفحص والعلاج . والهدر في الادوية .

ولكن هل من علاج ولو مؤقت لمثل هذه الحالات التي تشكل بمجموعها الظاهرة موضوع البحث ؟ نسأل محدثنا فيجيب

- نعم فقد عمدنا كاجراء اولي الى رفع كفاءة الاستعلامات . وقدمنا دراسة الى الجهات العليا لاصدار التعليمات بخصوص تنفيذها ضمن الامكانيات المتاحة والذي نعمل به حاليا هو تعيين خريجي الاعدادية في الاستعلامات بعد ادخالهم دورة خاصة لمدة ستة اشهر . اما الخطوة الثانية التي ستطبق بعد تهيئة مستلزماتها فهي تعيين خريجي المعاهد الصحية من معاوني الاطباء الذين لهم امكانية التشخيص الاولي لبعض الحالات . واحالة المريض الى الطبيب المختص .

وبهذا نوفر الجهد والوقت الذي يستحقه المريض الحقيقي دون ان يضيع بلا فائدة .

ان الدواء يسهم في معالجة المريض فعلا . ولكنه قد يؤدي الى نتيجة عكسية عند المتمارض .

وقد عملنا بنظام الاحالة من قبل طبيب العيادة الخارجية الى الاختصاصي في العيادة الاستشارية . وقد اتبع نظام الدفتر الصحي الذي يراجع به المواطنون المراكز الصحية . حيث يؤشر الطبيب فيه تاريخ المراجعة ونوعية المرض والعلاج . وقد طبق هذا في محافظات بابل وكربلاء وواسط وذي قار ومن المؤمل تعميمه على كل محافظات القطر .

■ المستشفى لقضاء الوقت ■

في العيادة الخارجية والاستشارية في مؤسسة مدينة الطب نلتقي الطبيبة امل خيري لتحدثنا قائلة

- هناك نسبة من المواطنين لايراجعون المستشفى في سبيل العلاج الفعلي . والاسباب متعددة . حسب وعي المواطن وظروفه البيئية والناس الذين يحتك بهم . فنحن نلاحظ بعض ربات البيوت يعمدن الى مراجعة المستشفى لقضاء الوقت وبعضهن ياتين وهن يحملن سلة الخضار المشتراة من السوق . وما دامت المستشفى قريبة وثمن التذكرة والدواء قليل فلا باس من ذلك وبعضهن يجعلن من المستشفى مكانا للالتقاء والاحاديث . أو لجلب اهتمام العائلة والزوج بدعوى المرض . كما ان قسما اخر من المواطنين يمكن القول عنه انه مدمن على مراجعة المستشفيات ومنهم من يجلب ابنه للعلاج . فيدخل الى طبيب اخر ليحصل على بعض المقويات والفيتامينات . وهو مايدفعهم لقطع عدة تذاكر والدخول على عدة اختصاصيين .

■ المريض يحدد المرض والعلاج ■

في قسم اخر من المستشفى نلتقي الطبيبايشابا خنيتا يعقوب الذي يعقب على ظاهرة كثرة المراجعين بقوله

- نتيجة الخبرة والممارسة طوال سبعة عشر عاما . نستطيع القول ان بعض الامراض يمكن معرفتها بدون فحوصات كثيرة . ولكن المريض لايقتنع ويجادل مدعيا اكثر من مرض وحين نحيله الى اقسام التحليل المختلفة تظهر النتيجة سلامته من الامراض التي يشكو منها .

ومثل هؤلاء يحرمون اخوتهم الاخرين من فرصة الفحص والعلاج . كما ان الادوية التي ياخذها ادعياء المرض قد تضر بهم . اضافة الى الهدر الاقتصادي الحاصل بسببها .

■ مرضى الوهم ■

وننتقل الى المركز الصحي في الزهراء بالكاظمية . لنستمع الى ما يقوله الطبيب فيصل العامري

- نلاحظ كثرة المراجعة غير المبررة . والشكوى من امراض بسيطة سريعة الزوال كالصداع مثلا . ولكننا نضطر الى اجراء بعض الفحوصات وقياس ضغط الدم وكل هذا لايقنع بعضهم فيعمد الى مجادلة الطبيب وتقديم النصائح والارشادات له .

ان هناك حالات بسيطة كالصداع والزكام تتطلب ادوية بسيطة كلاسبرين وبعض الفيتامينات وشيئا من الراحة ، ولكن ثمة مرضى يطلبون المضادات الحيوية . ومنهم من يراجع دون مرض انما لمجرد الحصول على المقويات والفيتامينات . في حين اننا ننصحهم بأن الغذاء المتوازن افضل من هذه الادوية كما اننا اكتشفنا ان مرضى الوهم هؤلاء . قد يقومون برمي الادوية قرب باب المستشفى . وقد يعمد اخرون للاحتفاظ بها في صيدلية البيت .

ويؤكد لنا الدكتور كريم المفرجي اختصاصي الامراض الجلدية في مستشفى اليرموك ان الطب مهنة انسانية لها خصوصيتها لانها تتعامل مع البشر . ولهذا فهي تحتاج الصبر والدقة . والكثير من المرضى عندما يقصد الطبيب يحتاج الى راحة نفسية تخفف من الحالة التي يشكو منها . ربما اكثر من الدواء . لان هؤلاء المرضى يغلب على مرضهم العضوي احساسهم بالمرض . وهو الامر الذي يتطلب من الطبيب حسن الاستقبال . واللطف والابتسام . وهو مالا يتيحه كثرة المرضى خاصة ممن لايشكون شيئا فعليا .

وهناك من المرضى من ينقل شكوى غيره ويصف اعراض مرضه بحجة عدم قدرة الاخر على مراجعة المستشفى . وهذا بالتاكيد لايساعد في دقة التشخيص والعلاج . وهي مسالة لايمكن قبولها .

■ ضرورة التوعية الصحية ■

وللبحث عن جوانب وحالات اخرى . انتقلنا الى مستشفى اليرموك . لنلتقي الدكتور عبدالاله الحلي . الذي ما ان عرف هدف زيارتنا حتى قال

- لقد وفرت الثورة للقطاع الصحي كل المستلزمات التي وضعته في مستوى متقدم وهذا يتطلب من المواطن تقدير الجهود المبذولة . وما تتكلفه الدولة من اموال . فيلجأ الى الطبيب والمستشفى حين يكون في حاجة فعلية لهما

ولكننا نرى العديد من المراجعين . وربما بسبب القلق النفسي الذي يلازمهم . يكثرون من مراجعة المستشفيات والاطباء في عياداتهم الخاصة . وبعضهم لايثق بطبيب واحد فيراجع ثانيا وثالثا في فترة قصيرة .

مثل هؤلاء المرضى بحاجة الى توعية صحية تتوخى البساطة وايصال المفاهيم الصحية بسهولة . دون اعتماد الصيغ العلمية المعقدة . التي قد تثير فيهم القلق والمخاوف المرضية .

كانت العيادة الخارجية تضم عدة اختصاصات منها النسائية حيث كانت تقف اعداد من النسوة اللاواتي تقوم الطبيبة وداد سعيد بفحصهن . وقد مضى عليها في العيادة خمس عشرة سنة . حيث لخصت تجربتها هذه بالقول

- ان حشود المرضى على العيادات الخارجية هو مؤشر حقيقي على ان هناك عناية صحية متكاملة . يطمئن لها المريض . وهناك كثير من المراجعين اصحاب الامراض المزمنة كضغط الدم او السكر وغيرها ممن يراجعون المستشفى بانتظام لاخذ العلاج . وهناك نسبة كبيرة من النساء اللواتي نلاحظ مراجعتهن لنا بعد عودتهن من الاسواق مع اطفالهن . دون حاجة فعلية . وفي كلتا الحالتين هناك ضرر مادي وصحي . سواء في اضاعة فرص العلاج امام المرضى الحقيقيين او في تبذير الادوية . وهدر الوقت والجهد بالنسبة للطبيب والعاملين معه . وكذلك في الاضرار الصحية لمن يستعمل الادوية دون مرض .

■ ماذا يقول المرضى ؟ ■

وهكذا انتهى القسم الاول من جولتنا ، مع الجهة الصحية المعنية التي اطلعتنا على تشخيصها لهذه الظاهرة وما تضعه من حلول لمعالجتها . وكذلك العديد من الاطباء ممن طرحوا معاناتهم ازاء هواة مراجعة المستشفيات والان سنكمل جزءا اخر من الجولة مع هؤلاء المرضى ذاتهم . وفي العديد من المستشفيات .

المريضة رديفة خليل قالت لنا : منذ ثلاث سنوات وانا اراجع المستشفيات دون فائدة وقد استهلكت كميات كبيرة من الادوية . ودائرتي لا تسمح لي بالمراجعة اكثر من مرتين في الشهر ، كما ان اجازاتي المرضية قد انتهت .

حين تركنا هذه المريضة قالت موظفة الاستعلامات : انها وجه معروف بالنسبة لنا لكثرة مراجعاتها رغبة في الحصول على الاجازات المرضية .

ونلتقي مريضة اخرى تبدأ بالشكوى : ان كل جسمي يؤلمني ودرجة حرارتي مرتفعة . ولا استطيع النوم ليلا . وقد راجعت عدة اطباء اختصاصيين في محافظتي واخيرا جئت الى بغداد بحثا عن الشفاء . منذ ستة شهور هكذا اذن . قلنا لها . ورغم كل هذه المراجعات لم تجدي العلة والدواء ؟

تمتمت بكلمات لم نسمعها وتركتنا منصرفة .

مريضة رابعة اشتكت لنا من انها تراجع منذ سنة . وعاينها العديد من الاختصاصيين . وتناولت ادوية متنوعة كثيرة دون فائدة !

اما السيد بديع جاسم فهو يقول : انني اراجع المستشفيات منذ ثماني سنوات . لقد حدث ان تناولت دواء ذات مرة لمعالجة الم بسيط دون استشارة طبيب . وبعدها اخذت اعاني من القلق مما دفعني لمراجعة الاطباء واصبحت متعودا على تناول الادوية . ولم اعد اعتقد بما يقوله الاطباء لي .

نسأله : ولكن لماذا تراجع الاطباء ان لم تثق بهم ؟ . تاخرت اجابته . وكان فيما يبدو يبحث عن اجابة معقولة لم يجدها .

في مستشفى اخر نلتقي الطالبة اخلاص علي . التي تعاني كما اخبرتنا من صداع شديد عند القراءة وبعد النهوض من النوم . مما جعلها متوترة . متعكرة المزاج . ولهذا تراجع المستشفى بين فترة واخرى لأنها تحس بالراحة والشفاء .

ونلتفت الى إمرأة تسحب خلفها طفلة صغيرة . قالت امها ان اسمها امل عبدالخالق وهي تعاني من تخلف عقلي اكد لها اطباء كثيرون عدم جدوى معالجته ولكنها لا تقتنع . وقد راجعت الكثير من المستشفيات والاطباء وانفقت مبالغ كبيرة دون فائدة .

والعديد ممن التقيناهم . لم يعطونا اجابة وافية عن سؤالنا .

- الا ترون انكم ترهقون انفسكم والاطباء والملاكات الصحية . وتحرمون اخوتكم المرضى الاخرين من فرص الفحص والعلاج . وتسهمون في تبذير الادوية . وكلهم اشتركوا في انهم يمارسون حقا لهم . وانهم مقتنعون بامراضهم وعدم وجود العلاجات التي تشفيهم منها .

بعد ان استمعنا الى ماقاله الاطباء . والمواطنون . لابد ان نلجأ الى التحليل العلمي لهذه الظاهرة . وهكذا كان . فقد التقينا الدكتور نوري جعفر استاذ علم الاجتماع في جامعة بغداد سابقا . لنعرف رأي العلم في ذلك .

- من الملاحظ ان كثيرا من الناس وفي العديد من المجتمعات وبصرف النظر عن مستوياتهم الثقافية المتباينة . تصبح لديهم رغبة ملحة احيانا لمراجعة الاطباء دون حاجة بايولوجية واضحة . او انحراف صحي ملحوظ .

وهذه الحالة ناجمة في الاصل بنظر كثير من المختصين بعلم الامراض العقلية . من عوامل سايكولوجية منحرفة ليست بذات علاقة بالحالة الجسمية للشخص المعني كما ان الكثيرين من هؤلاء يشعرون احيانا دون سبب فسلجي ملحوظ بانهم مرضى وان عليهم مراجعة الطبيب في اقرب فرصة ممكنة . وهم في الغالب لا يتقيدون بنصائح الاطباء ولا يكترثون كذلك بالعقاقير الطبية التي تقدم لهم .

ان هذه حالة تستلزم نشر الوعي الصحي بين جميع المواطنين . خاصة ذوي المستويات الثقافية المحدودة . لغرض تفادي وقوعهم بامراض سايكولوجية اساسها الاوهام التي تراودهم بين حين واخر والتي لا اساس لها في كثير من الاحيان في مكوناتهم الجسمية .

وهذا يجعلهم ضحايا لأوهامهم . ويؤدي في الوقت نفسه الى اشغال الاطباء المختصين في قضايا وان كانت مهمة بوضعها الراهن الا انه بالامكان تفاديها وبخاصة اذا تذكرنا قلة عدد الاطباء في المجتمعات النامية عموما وكثرة المراجعين من المرضى بالفعل واصحاب الاوهام ممن ذكرنا .

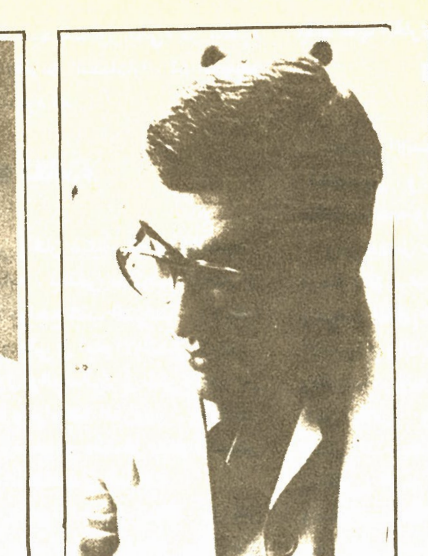
ولقد ثبت ان هذه الظاهرة السايكولوجية المنحرفة قديمة على مايبدو قدم المجتمع الانساني . وقد تشبث اصحابها في المجتمعات القديمة والبدائية حيث ينتمي وجود الاطباء بشخصيات كانت لها مراكز خاصة في المجتمع . كما تشبث بعضهم ايضا بعد ذلك وعلى اساسه بالمختصين بالتنجيم الذين كانوا يظنون ان هناك علاقة وثيقة بين الاجرام السماوية وبين صحة الانسان ومستقبله .

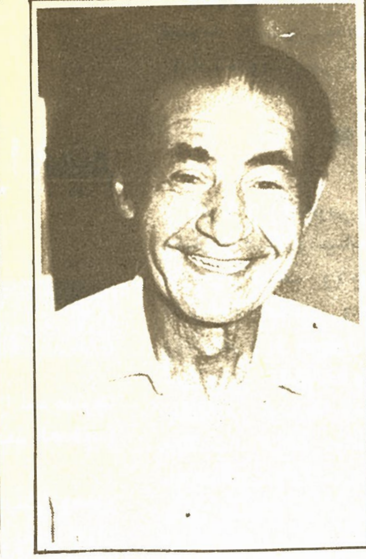
ثم تطورت هذه العلاقة بعد ذلك في القرون الوسطى . ولكن اساسها بقي كما هو رغم التقدم العلمي وبخاصة في مجال الطب الذي بدأ بالانتشار في القارة الاوربية بالذات . وتحضرنا في هذه المناسبة حالات خاصة تعاطاها كثيرون من المعنيين بشؤون الصحة خاصة في فرنسا حيث جمعوا ثروات طائلة من الاعداد الكبيرة التي تراجعهم على اختلاف مستوياتهم الثقافية . حتى ان اكاديمية العلوم الفرنسية اصدرت قرارا فضحت فيه هذه الاساليب ودعت الناس الى ضرورة تجنبها .

والظاهرة المشار اليها . لاتزال مع ذلك متفشية في كثير من المجتمعات بما فيها المتقدمة . ولكن بدرجات متفاوتة . ولا يمكن القضاء عليها تماما الا بمرور الزمن . ورفع المستوى الثقافي والصحي للمواطنين . وتعاون الجميع افرادا ومؤسسات ومنظمات جماهيرية لانجاز هذا الهدف .

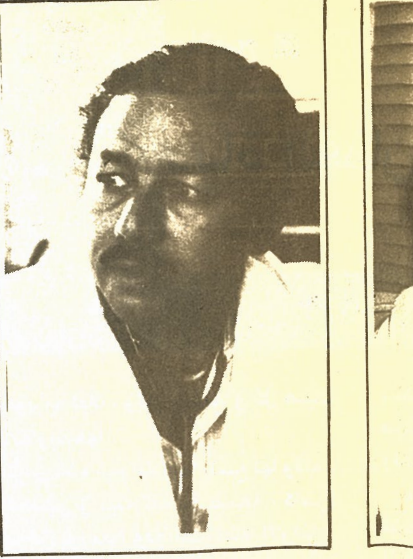
تحقيق : زهرة محمد
تصوير : فؤاد شاكر

د . وداد سعيد


د . ايشايا خنينا يعقوب


د . نوري جعفر

د . فيصل العامري


د . عبدالاله الحلي


تجمع المواطنين برهق المريض والطبيب